﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٢٩﴾ [آل عمران: 129]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بيان تمام الملك لله بعد بيان تمام الأمر له

لَمَّا كان التَّقدير: بل الأمر له سُبحانه وحده عَطَفَ عليه قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ مبيِّنًا قدرته على ما قدَّم من فعله بهم على وجهٍ أعمَّ[1]، فلما قدَّم ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾؛ بيَّن هنا أنَّ الأمور إنَّما هي لمن له الملك[2]، فبيَّن في هذه الآية الحُجَّة السَّاطعة في ذلك، وهي ملكه سبحانه للأشياء، فذلك يقتضي أن يفعل في ملكه ما يشاء، لا اعتراض عليه، ولا مُعقِّب لحكمه، يفعل ذلك لحكمة يُقدِّرها بحسب مشيئته سبحانه[3].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَغۡفِرُ﴾: الغفر: السَّتر، تَقول: غفرت كَذَا؛ إذا سترته، وَمِنْه قيل لجُنَّة الرَّأس: مغفر؛ لِأَنَّهُ يغْفر الرَّأس، وأصل الغفْر: السَّتر والتَّغطية، وَغفر الله ذنوبَه، أَي: سَترها، وَلم يَفْضَحهُ بهَا على رُؤُوس المَلأ[4].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

للّه وحده ما في السَّماوات وما في الأرض خَلْقًا ومُلكًا وتدبيرًا، يغفر الذُّنوب لمن يشاء من عباده برحمته، ويُعذِّب من يشاء بعدله، واللّه غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم[5].

(1) البِقاعيُّ، نَظْمُ الدُّرَر: 5/61.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 3/339.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/506.
(4) الأزهري، تهذيب اللغة، والرَّاغِبُ، المفردات: (غفر)، وابن قتيبة، غريب الحديث: 1/212.
(5) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص: 91، ونخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، ص: 66.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة الاستئناف بعد ذكر التَّوبة والتَّعذيب:

تفصيل وبيان لما أجمل في الاعتراض المتقدّم

فقوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾: كلامٌ مستأنفٌ سيق لبيان اختصاصِ ملكوتِ كلِّ الكائناتِ به ﷻ إثرَ بيانِ اختصاصِ طرَفٍ من ذلك به سبحانه؛ تقريرًا لما سبق وتكملةً له[1]، وهو تَذْيِيلٌ لِقَوْلِهِ: ﴿أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ﴾ مُشِيرٌ إِلَى أَنَّ هَذَيْنِ الْحَالين على التَّوْزِيعِ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ، فلَمَّا كَانَ مَظِنَّةَ التَّطَلُّعِ لِمَعْرِفَةِ تَخْصِيصِ فَرِيقٍ دُونَ فَرِيقٍ، أَوْ تَعْمِيمِ الْعَذَابِ؛ ذَيَّلَهُ بِالْحَوَالَةِ عَلَى إِجْمَالِ حَضْرَةِ الْإِطْلَاقِ الْإِلَهِيَّةِ؛ لِأَنَّ أَسْرَارَ تَخْصِيصِ كُلِّ أَحَدٍ بِمَا يُعَيَّنُ لَهُ، أَسْرَارٌ خَفِيَّةٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى[2].

فهذه الآية تفصيل وبيان لما أجمل في الاعتراض المتقدِّم في الآية السابقة: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾، وهي أيضًا تعليل لذلك الاعتراض المتضمِّن اختصاص الله ﷻ بالشَّأن كلِّه، فلمَّا قدَّم ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾؛ بيَّن أنَّ الأمور إنَّما هي لمن له الملك، فجاء بهذه الجملة مؤكِّدة للجملة السَّابقة[3].

معنى اللَّامِ في الاسم الأحسن ﴿وَلِلَّهِ﴾:

إفـــادةُ الملـك والاختـصـاص تأكيدًا للجملة السَّابقة

واللَّام في الاسم الأحسن للملكِ والاختصاص، فَهُوَ الْمُنْشِئُ الْخَالِقُ، فَصِفَةُ الْمُلْكِ تَدُلُّ عَلَى الْقُدْرَةِ الْبَاهِرَةِ[4]، فالخلق كلُّهم عبيده وإماؤُه، وهو خالقُهم ورازقُهم، وحكمُه نافذٌ فيهم، وفي كلِّ شيءٍ دلالةُ ربوبيَّته ووحدانيَّته، وهو وحدَه المُستَحِقُّ للعبادةِ؛ لأنَّه المالكُ المدبِّرُ لكلِّ ما في السَّماوات وما في الأرض[5].

(1) أبو السُّعود، إرْشادُ العَقْلِ السَّليم: 2/84.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/84.
(3) أبو حيَّان، البحر المحيط: 3/339.
(4) أبو حَيّانَ، البَحْرُ المُحيطُ: 2/750.
(5) الماورديُّ، النُّكت والعيون: 1/360.

وقد أكدَّ معنى الاختصاص بتقديم الجارِّ والمجرور ﴿وَلِلَّهِ﴾ الَّذي يُفيد القصر[1]، فَهِيَ للّه خَلْقًا ومُلْكًا[2]، لا لغيره أصلًا، لا استقلالًا ولا اشتراكًا، وَأَكَّدَهُ أيضا بالتَّكْرَارِ في قَوْلِهِ: ﴿وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فكَرَّرَ: ﴿مَا﴾ تفصيلًا وتَنْبِيهًا وَتَوْكِيدًا[3]، وبالطِّباق بَيْنَ لَفْظَتَي ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ و﴿ٱلْأَرْضِ﴾.

إظهار الاسم الجليل في مقام البيان والتَّعليل:

مناسبة إظهار الاسم الجليل لذكر أعظم المخلوقات

وإظهار علميَّة الاسم الأحسن دون ضميره؛ لأنَّ المقام يقتضيه، فقد ذكر في الآية العقلاء وغيرهم، وبرز اسم السَّماوات مجموعة ممَّا يزيد في عظمتها، وكذا الأرض، وما يعيش على ظهرها، فالمقام مقام ذكر المخلوقات العظيمة، فناسب ذكر الخالق العظيم - جلَّ اسمه - بأعظم أسمائه وأعرفها، وهو لفظ الجلالة الَّذي كلُّ المخلوقات تألهه، وترنو إليه، وتخرُّ ساجدة لعظمته، وفي ذلك أيضًا تربية للمهابة في قلوب العباد[4].

دلالةُ التَّغليبِ في استعمالِ الأدواتِ:

استعمالُ (ما) الَّتي لغير العاقِلِ تَغْليبًا في وصف المخلوقات

جَاءَ بِلَفْظِ: ﴿مَا﴾ الموصوليَّة تَغْلِيبًا لِمَا لَا يَعْقِلُ عَلَى مَنْ يَعْقِلُ؛ لِأَنَّ الْغَالِبَ فِيمَا حَوَتْهُ، إِنَّمَا هُوَ جَمَادٌ وَحَيَوَانٌ، لَا يَعْقِلُ، وَأَجْنَاسُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ، وَأَمَّا الْعَاقِلُ؛ فَأَجْنَاسُهُ قَلِيلَةٌ؛ إِذْ هِيَ ثَلَاثَةٌ: إِنْسٌ وَجِنٌّ وَمَلَائِكَةٌ[5]، وانفراد الله بذلك، فكلمةُ ﴿مَا﴾ من صيغ العُمُوم شاملةٌ للعقلاء أيضًا تغليبًا، أي: له مَا فِيهِمَا مِنَ الموجوداتِ خَلْقًا ومُلكًا لا مدخَلَ فيه لأحد أصلًا، فله الأمرُ كلُّه[6].

(1) أبو السُّعودِ، إرْشادُ العَقْلِ السَّليمِ: 2/84.
(2) البَيْضاويُّ، أَنْوارُ التَّنْزيلِ: 1/165، والقونْويُّ، حاشيةُ القونْويِّ: 5/494.
(3) أبو حَيّانَ، البَحْرُ المُحيطُ: 2/767.
(4) الخنين، النظم القرآني، ص: 120.
(5) أبو حَيّانَ، البَحْرُ المُحيطُ: 2/750، وابن عطية، المحرر الوجيز: 1/389.
(6) أبو السُّعودِ، إرْشادُ العَقْلِ السَّليمِ: 2/84.

واستعمال ﴿فِي﴾ الظرفيَّة وإدخالها في السَّماوات والأرض للإشعار بأنَّ السَّماوات والأرض ظرف لتلك المخلوقات، وأنَّه لم يعد شيء منها خارجًا عنها؛ ولذلك فجميعها في ملك الله وتحت مشيئته[1].

توجيه المخصوص بالذِّكر:

عمومُ ملكِ الله لكلِّ ما يظنُّ الإنسانُ قدرتَه على تملُّكِه

وَخَصَّ السَّماوات وَالْأَرْض بالذِّكر من بَيْن المخلوقات؛ لِأَنَّهَا أَعْظَمُ مَا يُرَى مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَقَدَّمَ السَّماوات لِعِظَمِهَا[2]، ولأنَّها تعمُّ كلَّ ما فيه مَظِنَّةُ تملُّكٍ للإنسانِ.

دلالة الفصل بعد ذكر الملك:

بيان أنَّ تصرُّفاته تعالى على وفق مشيئته

وفصل جملة: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ عمَّا قبلها؛ لكونها وقعت جوابًا عن سؤال ناشئ عن الجملة السَّابقة، فإنَّه لما قيل: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ استفهم عن شأن مَنْ هذه صفته، فقيل: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾، فأتى بهذه الجملة موضِّحة أنَّ تصرُّفاته تعالى على وفق مشيئته[3]، يفعل في ملكه ما يشاء، فلا رادَّ لقضائه ولا معقِّب لحكمه.

بديع عطف التَّعذيب على المغفرة في صورة المطابقة:

بيان اتِّحادهما في المصدر الجامع بينهما

أمَّا قرن جملة التَّعذيب بجملة المغفرة وعطفها عليها؛ فلما بينهما من المغايرة، فالمغفرة على الضِّدِّ من العذاب، ولكنَّ الجامع بينهما: هو اتِّحاد المسند إليه، وهو الله سبحانه، بالإضافة إلى مراعاة المطابقة بين لفظتي ﴿يَغْفِرُ﴾ و﴿وَيُعَذِّبُ﴾ الَّتي أعطت المعنى قوَّة وجمالًا لوقوع كِلْتَيْهِما من الرَّبِّ العظيم القادر الَّذي يفعل في ملكه مايشاء، ويحكم مايريد، ولذلك حسن العاطف هنا[4].

(1) الخنين، النظم القرآني، ص: 121.
(2) أَبو حَيّانَ، البَحرُ المُحيطُ: 2/750.
(3) أَبو حَيّانَ، البَحرُ المُحيط: 3/339.
(4) الخنين، النظم القرآني، ص: 121.

سِرُّ اختيار (مَنْ) دون (ما) في مقام المغفرة والتَّعذيب:

اختصاص المغفرة والتَّعذيب بالعقلاء

وإيثار لفظة (مَنْ) في قوله تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ في الموضعين دون (ما) لاختصاص المغفرة والتَّعذيب بالعقلاء، فهم الَّذين يجري في حقِّهم ذلك[1].

تقديم فعل المغفرة على فعل التَّعذيب:

بيان تناسب كلٍّ منها في الذِّكر مع ماسبقه، والإشعار بأسبقيَّة رحمة الله على عذابه

قدَّم ذكر المغفرة على التَّعذيب للتَّناسب مع الآية السَّابقة حيث قُدِّمت التَّوبة على التَّعذيب في قوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾، فلمَّا تقدَّم قوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾؛ ناسب البداءة بالغفران والإرداف بالعذاب، ولم يشترط في الغُفران هذه التَّوبة؛ إذ يغفر تعالى لمن يشاء من تائب وغير تائب ماعدا ما استثناه تعالى من الشِّرك[2]، وقُدِّمت المغفرة بالذِّكر أيضًا للإشعار بأنَّ رحمته سبحانه قد سبقت عذابه، وأنَّها قد وسعت كلَّ شيء[3].

توجيه المُتشابه اللَّفظي في تقديم العذاب على المغفرة في الآية الأربعين من هذه السُّورة:

بيان أنَّ عذاب السَّارق والسَّارقة واقع في الدُّنيا جزاء على فعلهما

فقد سبق موضع آخر في هذه السُّورة الكريمة، قُدِّم فيه ذكرُ العذاب على المغفرة، وهو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ [المائدة: 40]، وتوجيه ذلك أنَّه تَقَدَّمها حَدِيثٌ عن حكم الحِرَابَةِ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟﴾ [المائدة: 33]، وفي حُكْمِ السَّارق والسَّارقة: ﴿فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: 38]، كان من المُلائم تقديمُ العذاب على المغفرة في هذا السِّياق؛ لأنَّ عذاب السَّارق

(1) أبو السُّعودِ، إرْشادُ العَقْلِ السَّليمِ: 2/84.
(2) أبو حَيّانَ، البَحْرُ المُحيطُ: 3/339.
(3) الخنين، النظم القرآني، ص: 121.

والسَّارقة يقع في الدُّنيا جَزَاءً على فِعْلِهما، ثُمَّ ذَكَرَ المغفرة لهما؛ إن تابا[1].

دلالة التَّذييل بذكر وصف المغفرة والرَّحمة وتأكيده:

تقرير مضمون ما قبله من الاعتناء بشأن الرَّحمة إطماعًا في التَّوبة ودعوة إلى سلوك مسالك الرَّحمة

قوله: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ تذييلٌ مُقرِّرٌ لمضمونِ قولِه تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾، وقد أكَّد هذا التَّقرير بعدَّة مؤكِّدات، منها: إظهار لفظ الجلالة مرَّة أخرى، واسميَّة الجملة، ومجيء صيغة ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ على وزني: فعول وفعيل، المفيدَيْن المبالغةَ بالوصف المذكور[2]، وفي تخصيصِ التَّذييلِ بهذين الوصفين دون قرينةٍ اعتناءٌ بشأن المغفرةِ والرَّحمة[3]، في حين أنَّ جانب العذاب قد تُرك، وسُكت عنه، واكتفي بما تقدَّم، وفي ذلك إطماع بالإسلام لمن ضلَّ وجانب الهدى، كما أنَّ فيه حدودًا للفسَّاق وسوقًا لهم إلى أبواب التَّوبة والإنابة قبل أن تُغلق دونهم، ولات ساعة مندم[4].

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

العفو والمغفرة:

الغفران ينبئ عن السَّتر، والعفو ينبئ عن المحو، وهو أبلغ

العفو: إسقاط العذاب وترك العقاب على الذَّنب، فكلُّ من اسْتحقَّ عُقُوبَة، فَتَرَكْتَهَا؛ فقد عَفَوْتَ عنه[5]، والمغفرة: تغطية الذَّنب، وسَتْرُهُ بإيجاب المثوبة صونًا له عن عذاب الخِزْيِ والفَضيحَةِ، ولا يسْتَحقُّ الغفران إِلَّا الْمُؤمنُ الْمُسْتَحقُّ للثَّواب، وَالعَفْوُ قد يكون قبل العقُوبَة، وَقد يكون بعْدهَا، بِخِلَاف الغُفْرانِ: فَإِنَّهُ لَا يكون مَعَه عُقُوبَة الْبَتَّةَ، وَلَا يُوصف بِالعَفو إِلَّا الْقَادِرُ على ضِدّهِ[6].

(1) ابْنُ الزُّبَيْر، ملاكُ التَّأْويل: 1/74، والكرماني، أسرار التَّكرار في القرآن، ص: 87.
(2) الدّبل، دليل البلاغة القرآنيّة: 1/542.
(3) أَبو السُّعودِ، إِرْشادُ العَقْلِ السَّليمِ: 2/84، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/83.
(4) الخنين، النظم القرآني، ص: 122.
(5) الكَفَوِيُّ، الكُلِّيات، ص: 598.
(6) العَسْكَرِيُّ، الفُروقُ اللُّغَويَةُ، ص: 235، والكَفَوِيُّ، الكُلِّيات، ص: 632.

فالغفران: ينبئ عن السَّتر، والعفو: ينبئ عن المحو، وهو أَبْلَغُ من السَّتْرِ، لأَنَّ السَّتر للشَّيءِ قد يحصل مع إبقاءِ أصله، بخلاف المحو؛ فإنَّه يُزالُ جُمْلَةً ورَأْسًا[1].

العَذاب والعِقاب:

العِقَاب يُنْبِئُ عَنِ اسْتِحقاقٍ، والعــذاب لا يقتضي ذلك

العِقَاب: يُنْبِئُ عَنِ اسْتِحقاقٍ، وَسُمِّيَ بِذلِكَ؛ لِأَنَّ الفاعِلَ يَسْتَحِقُّهُ عَقِيْبَ فِعْلِهِ، وَيَجوزُ أَنْ يَكونَ العَذابُ مُسْتَحَقًّا وغَيْرَ مُسْتَحَقٍّ، فَالْعِقابُ يَقْتَضي بِظاهِرِهِ الجَزاءَ عَلى فِعْلَةِ المُعَاقَبِ عَقِبَ فِعْلِهِ، والعَذابُ لَيْسَ كَذلِكَ، فَبَيْنَهُما عُمومٌ وخُصوصٌ[2].

(1) الغَزالي، المَقْصَدُ الأَسْنى، ص: 140.
(2) العَسْكَرِيُّ، الفُروقُ اللُّغَوِيَةُ، ص: 364.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 5 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-57-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 5 : سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-57-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»